

أن يتعرفوا على طبيعة الحياة وما فيها من أحداث عامة في عصر ما من عصور الأدب من خلال الإلمام بمختلف الألوان والمذونات الأدبية التي قدمها أدباء هذا العصر .

وعلى العكس من ذلك أصبح على من يريد أن يتعرف على مسار الأدب في عصر ما أن يتعرف أولاً على ظروف الحياة في ذلك العصر ، وأن يقف على أبرز الأحداث التي وقعت فيه ، وأن يلم بطبيعة من يفهم العصر ، وما صادفهم من مشكلات وأحداث ، وكيفية مواجهتهم لتلك المشكلات والأحداث ، ومدى تأثير هذه المشكلات والأحداث عليهم

وإنما لزم المدارس أن يتعرفوا على كل ذلك ليصبح بين يدي المدارس الناقد المحقق من وسائل التحقيق والضبط ما يقربه من الحقيقة وبدنيه منها إن لم يقدمها له يكامل هيئاتها وأبعادها ؛ إذ هو أمام النتاج الأدبي ، والتاريخ البيئي للجماعة كمن يضع بين يديه العملية الحسائية وميزانها لتبدأ كد من صخرة ما يصل إليه .

وليتمكن هذا المدارس من الوقوف على التفسير المنع لكثير من التعبيرات الأدبية ، والتعرف على ما يشتمل من صور وخيالات هية يدهش لها بعض المدارس لما فيها من غرابة ، أو وحشية ، أو سذاجة نسبية .

من ثم كان لزاماً على من يتعرض لأي طور من أطوار الأدب العربي أي كان أن يتعرف أولاً على طبيعة الحياة العربية في العصر الذي ضم هذا الطور بالقدرة الذي يعينه على تصور الحركة الأدبية فيه ، ويطامسه على اتجاهات مسارها ، إذ من خلال ذلك يستطيع أن يستخلص العوامل التي كان لها التأثير المباشر في تدوير الأدباء العرب وقدموا أدبهم على هيئته التي قدموه عليها .

ولاريب في أن هذا المنهج فيه من المشقة والجهد ما يربو على منهج الشك من أول الأمر في كل ما ينسب إلى عصر من العصور أو إلى أديب من الأدباء - شاعراً كان أو كاتباً - ثم البحث عما يثبت هذا التراث أو ينفيه ؛ لما يتضمن منهج الشك من شبهة وجود حكم مسبق يسمى صاحبه لإقراره .

يد أن منهج التحقيق والاستقصاء القائم على البحث في ثمايا البيئة يقدم الباحث من الحقائق ما يشغله عن المشتقات والصواب التي يتجشمها ويماني منها .